- ٦ -

النبى ويهود بنى النضير

تربص اليهود بالنبى ﷺ، فبينما توجه إليهم فى أمر دية قتيلين من حلفائهم، فإذا بهم يبيتون أمرا خطيرا، بأن يقتلوا النبى ﷺ، بأن يرموا حجرا على رأسه أثناء جلوسه بجانب جدار من جدرانهم، ولكن الله خيب أملهم، فقد أوحى الله إليه بما يدبره اليهود، فرجع النبى إلى المدينة، وأصيب اليهود بالحيرة بعد أن أذهب الله ما يبيتون من جريمة بشعة..!

وما كان النبى أن يهادنهم بعد أن قطعوا كل الحبال بينهم وبينه وبعث إليهم النبى يأمرهم بالخروج من المدينة، وأصيبوا بالذعر، وأخذوا يفكرون فى أمر النبى لهم بالخروج بعد عشر ليال من إنذارهم، ومن يبقى منهم فى المدينة بعد ذلك سوف يقتل.. لقد أصيبوا بالذعر، ولكن حليفهم زعيم المنافقين فى المدينة عبد الله بن أبى بن سلول، سولت له نفسه أن يكيد للإسلام، فحرضهم على قتال النبى، ووعدهم بالوقوف بجانبهم، وإمدادهم بالرجال والعتاد، مما جعل اليهود يرسلون إلى النبى برفضهم الجلاء عن المدينة.. وكان لابد من قتالهم.. وأرسل النبى إليهم على بن أبى طالب قائدا للمهاجمين.. وحاصرهم .. وأحكم الحصار عليهم.. مما اضطر اليهود إلى قبول أمر النبى.. وطلبوا من الرسول أن يخرجوا بأموالهم، وسمح الرسول لهم أن يخرجوا على قدر ما تحمل الأبل من الأموال، ما عدا السلاح.. ورحل اليهود بعد أن حملوا ما معهم من متاع على ستمائة جمل، وتوجهوا إلى خيبر فى الشام..

وكان جلاء يهود بنى النضير فى شهر ربيع الأول فى العام الرابع الهجرى.

وهكذا خرج اليهود، ولم يستطع أن يناصرهم ابن أبى وآلت غنائم اليهود من السكن وما تركوه من غنائم إلى المسلمين، وقد آثر النبى أن تكون هذه الغنائم للمهاجرين دون الأنصار.. لأن المهاجرين كانوا يشاركون الأنصار فى السكن.. ففضل أن يستقلوا فى بيوت لهم.. وقد استشار النبى الكريم الأنصار فى هذا الأمر فوافقوا عليه..وبلغ بهم الإيثار. وحبهم للمهاجرين، أن عرض سعد بن معاذ، وسعد بن عباده، أن يأخذ المهاجرون هذه الغنائم ويظلوا مع الأنصار فى مساكنهم.. مما جعل النبى ﷺ أمام هذا الموقف الكريم من الأنصار، يدعو ربه قائلا:

- «اللهم أرحم الأنصار وأبناء الأنصار»..

ودخل فى هذه القسمة رجلين من فقراء الأنصار هما سهل بن حنيف، وأبو دجانة..

واستقرت الأحوال بالمسلمين.. وأخذ النبى يرشد الناس إلى ما فى الإسلام من مبادئ وقيم ودستور حياة، ثم نزل الوحى بتحريم الخمر تحريما قاطعا.. وكان هذا التحريم قد بدأ بالتدريج.. فقد بدأ القرآن الكريم يحث الناس على ترك الخمر لما فيها من ضرر فقال:

﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا ﴾ [البقرة: ٢١٩].

وظل بعض المسلمين يشربونها، فحرم القرآن شرابها قبل الصلاة حتى لا يؤدوا الصلاة وهم سكارى..

﴿ يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقْرَبُوا الصَّلاةَ وَأَنتُمْ سُكَارَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ ﴾ [النساء: ٤٣].

ثم حرمت بعد ذلك تماما بنزول قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالأَنصَابُ وَالأَزْلامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [المائدة: ٩٠، ٩١].

مدينة رسول الله تعيش أسعد أيامها.. فقد تغيرت الأحوال الاقتصادية للمسلمين مع بداية الإذن لهم بالجهاد.. وقد أنعم الله عليهم بما ربحوه من غنائم الأعداء، فأصبحوا بفضل من الله فى حالة أكثر يسرا ..ولكنهم كانوا يترقبون أيضا ما تأتى به الأحداث.. فقريش ما زال يؤلمها ويؤرقها ما وصل إليه المسلمون من قوة ومنعة، ورغم ما حققوه من انتصار فى أحد، فلم يكن هذا الانتصار حاسما.. لأنه لم يقض على المسلمين، ولم يضع نهاية للدعوة.. ولا أوقف مسارها.. فالإسلام ينتشر فى مختلف أنحاء الجزيرة العربية.. والدعوة وصل صداها إلى كل مكان.. فقد علم بها الذين ظلوا على دين الأباء والأجداد.. وأخذوا يفكرون فى الدعوة.. ورغم أن العادة تغلبت على الأكثرية فظلوا يؤمنون إيمانا أعمى بما توارثوه من عقيدة الآباء والأجداد.. إلا أنهم ما عادوا يأمنون على عقيدتهم من أن يزلزلها ما جاء به محمد من عقيدة تخاطب العقل والقلب جميعا.. وتصل إلى القلب والعقل بسهولة ويسر.

فالإسلام أصبح قوة يعمل لها ألف حساب..فقد بلغت من قوة المسلمين أنهم أخرجوا بالقوة يهود بنى قينقاع من المدينة، وأرغموا يهود بنى النضير على الجلاء منها.. وهزموا قريشا فى بدر، وصمدوا لها فى أحد.. وقوة المسلمين فى ازدياد، وأتباعهم فى ازدياد أيضا.. وكان أشد الناس حقدا وبغضا للنبى وبما جاء به من رسالة يهود بنى قريظة ..فهم يعلمون أنهم معرضون لانتقام النبى ﷺ، طالما لم يحفظوا العهد الذى بينهم وبينه..واليهود لا يحتفظون بعهود أو مواثيق ..ومن هنا فقد قرروا أن يؤلبوا على النبى قريشا وسائر القبائل.. وخرج منهم حيى بن أخطب وكنانة بن

الحقيق وسلام بن الحقيق وغيرهم ليؤلبوا عليه أهل مكة وعددا من القبائل الموتورة من النبى والمسلمين.. وقرروا موفدين من اليهود أن يحققوا أمل اليهود فى هزيمة المسلمين على يد كل الموتورين مهما كانت النتيجة، ومهما كانت الوسيلة أيضا.. وذهبوا إلى قريش ..وتقابلوا مع زعمائها.. وأخذوا يسهلون لقريش الأمر، وأنه من الممكن أن يقضوا على الإسلام والمسلمين قضاءً مبرماً.. فيهود بنى قريظة سوف تؤازرهم من داخل المدينة، وبذلك يمكنهم إحداث ربكة فى صفوف المسلمين، عندما يزحف جيش الشرك الذى يضم مشركى مكة، والقبائل التى سوف يؤليها اليهود على المسلمين..واقتنع زعماء مكة بأقوال وفد اليهود ..والعجيب أن اليهود وهم أهل الكتاب، عندما سألهم مشركو مكة أيهما أفضل دين محمد؟ أم عبادة الأصنام؟.. قالوا فى ردهم أنهم يفضلون الوثنية على الذين يعبدون الله الواحد الأحد.. فقالوا لهم: إن دينكم خير من دينه!

بهذه الوقاحة.. وهذا الافتراء لم يعد لهؤلاء اليهود حدود يقفون عندها.. فأوغلوا فى الباطل فضلوا وأضلوا.

وقد صور القرآن الكريم هذا الموقف المزرى لليهود بقوله فى سورة النساء:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا ﴿٥١﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥١، ٥٢].

واقتنعت قريش برأى اليهود، وقرروا الهجوم على المسلمين فى المدينة، وصمموا أن يكون الهجوم هذه المرة كاسحا.. يقضون فيه تماما على الإسلام ونبى الإسلام.. فخرجت قريش بجيش هائل يضم أربعة آلاف مقاتل وألف وخمسمائة رجل يركبون إبلهم، وثلثمائة فارس.. وانضم إليهم مقاتلون من قبائل غطفان، وبنى مرة، وبنى فزارة، وبنى سليم، وبنى سعد، وأشجع

وبنى أسد.. تلك القبائل التى أوغر اليهود صدورهم على الإسلام.. وأصبح الجيش المتقدم صوب المدينة لمحاربة المسلمين قرابة عشرة آلاف مقاتل.. جيش هائل لم تشهده الحجاز فى أى عصر من عصورها.. يتقدم بكل قوة وخيلاء لاستئصال المسلمين!

وعلم النبى بما حدث.. وبما دبره اليهود.. وأخذ يشاور المسلمين فى الأمر، واقترح سلمان الفارسى، أن يحفر المسلمون خندقا حول المدينة.. وعمل المسلمون بهمة حتى أنهم تمكنوا من حفر الخندق فى ستة أيام، ثم حصن بيوت المدينة المواجهة للخندق، ووضع الحجارة فى الجانب الذى يلى المدينة، حتى يمكن استخدامه فى الدفاع عنها.. وأمر أن يذهب الأطفال والنساء إلى البيوت البعيدة عن الخندق..

وتقدمت جيوش الأعداء.. وكانت تتوقع أن ترى النبى عند أحد.. ولكنها ذهبت فلم تجد أثرا للمسلمين، فتقدمت صوب المدينة، وهالها أنها ترى هذا الخندق الذى لم يكن لهم عهد بمثله.. ووقفوا حائرين.. وحاولوا أن يشفوا غل قلوبهم فقالوا ما فعل محمد ذلك إلا لأنه جبن على قتالهم!

واستعد النبى للمعركة، وخرج قائدا للمسلمين فى ثلاثة آلاف مقاتل.. ونصبوا للنبى خيمته.. وأصبح المسلمون مستعدين للقتال وأصبح اجتياز الخندق مغامرة بالنسبة للمشركين.. واحتار أعداء الله.. فلم يكن أمامهم للقتال فى هذه الحرب، سوى التراشق بالنبال!

وتمر أيام وأيام..ولا وسيلة للحرب سوى تبادل الرمى بالنبال.. وهذا لا يمكن أن يحسم معركة من المعارك.. وكان الوقت شتاء.. والليل قارس.. والبرودة تفرى العظام.. وخشى حيى بن أخطب أن توهن كل هذه الظروف فى الأحزاب.. وقرر أن يلعب لعبة أخرى وهو أن يقنع يهود بنى قريظة بأن ينقضوا عهد النبى، حتى يخلخلوا الجبهة الداخلية فى المدينة.. وقد ذهب لمقابلة كعب بن أسد صاحب الكلمة المسموعة عند يهود بنى

قريظة.. وقد خشى كعب فى أول الأمر مغبة هذه المقابلة.. فهو يعلم تماما أن غدره بالمسلمين معناه مواجهة حاسمة مع النبى، وأن مصيرهم سوف يكون معروفا.. فهم يعلمون ما فعله بيهود بنى قينقاع، وبنى النضير.. ربما يكون لليهود مكانة عالية لو تحقق النصر للمشركين ..ولكن هذا الأمر ليس أكيدا.. انه لا يريد أن يغامر بمصير قومه.. ولكن حيى صمم على مقابلته.. وفتح له باب الحصن.. وتقدم حيى يقول لكعب:

- ويحك يا كعب!.. جئتك بعز الدهر، وببحر طام.. جئتك بقريش وغطفان مع قادتها وسادتها.. وقد عاهدونى وعاقدونى على ألا يبرحوا حتى تستأصل محمدا ومن معه..

وظل حيى يحبب لكعب نقضه لعهده مع النبى..ووقوفه مع أعداء النبى، حتى أقنع كعب، ونقض عهده، وانضم للأحزاب!

وعلم النبى بهذا التآمر الخسيس فأرسل وفدا من المسلمين يقنع اليهود بالحفاظ على عهودهم.. أرسل النبى سعد بن معاذ، وسعد بن عباده، وهما سيدا الأوس والخزرج، وعبد الله بن رواحه، وحوات بن جبير إلى اليهود يذكرهم بعهدهم من خيانة النبى، ولكنهم أصموا آذانهم.. وطلبوا من رسل رسول الله أن يرد أخوانهم من يهود بنى النضير إلى المدينة ..وحذرهم سعد ابن معاذ وكان حليفهم أن خيانتهم تلك لن تكون فى صالحهم.. وسيلقون ما لقيه يهود بنى النضير.. ورد كعب بوقاحة قائلا لسعد:

- من رسول الله؟ لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد!!

وكظم المسلمون غيظهم، ورجعوا للرسول ﷺ يخبرونه من أمر اليهود وما حدث منهم!

فاليهود قرروا عدم إمداد المسلمين بأى معونة، وفى نفس الوقت انضموا إلى أعدائهم، وقرروا القتال ضد المسلمين.. وهكذا أصبح موقف الإسلام فى غاية الحرج..وقد صور القرآن الكريم هذا الموقف بقوله:

﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلاَّ غُرُوراً ﴿١٢﴾ وَإِذْ قَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِن يُرِيدُونَ إِلاَّ فِرَاراً﴾ [الأحزاب: ١٠ - ١٣].

كان المشهد على الجانب الآخر من الخندق يبعث على الرهبة، فالأحزاب تشعل النيران بالليل.. فيبدو تجمعهم الكثيف كأنه شئ لا يقاوم.. وفى نفس الوقت كان بعض المغامرين من يهود المدينة يحاول بث الذعر فى نفوس المسلمين حتى أن صفية بنت عبد المطلب قتلت أحد هؤلاء اليهود الذى كان يحوم حول منزلها.. وأمام هذا الموقف أراد النبى أن يفك هذا التحالف الآثم.. فأرسل إلى غطفان يعدها بثلث ثمار المدينة على أن ترحل!

وتقدم للنبى نعيم بن مسعود الأشجعى.. وكان قد أسلم، ولم يعلم بإسلامه اليهود، ولا المشركون..وعرض على النبى أن يقوم بدور يفتت فيه وحدة هؤلاء الأحزاب.. فقال له النبى ﷺ:

- «أنت رجل واحد وما عسى أن تفعل، ولكن اخذل عنا ما استطعت فإن الحرب خدعة».

وكان المشركون وقد غاظهم عجزهم عن اقتحام الخندق، قرر بعضهم مناوشة المسلمين، واقتحام الخندق، واقتحمه عمرو بن ود وكان من أشجع شجعان قريش، كما اقتحمه عكرمة بن أبى جهل، وضرار بن الخطاب.. وأخذ عمرو بن ود يتحدى المسلمين، ويطلب من يبارزه، وكان فى كل مرة، يبرز له على بن أبى طالب.. وكان النبى يطلب من على التريث، وفى المرة الثالثة وافق النبى أن يخرج له على بن أبى طالب، بعد أن ألبسه عمامته.

وطلب على من عمر قبل مبارزته أن يعلن إسلامه حتى يحفظ دمه !

كان عمرو صديقا لأبى طالب فقال لعلى:

- كان أبوك خلا لى ولا أريد أن أقتلك!

قال على:

- ولكنى أريد أن أقتلك.

واغتاظ عمرو.. وتصارع الفارسان.. وكان المسلمين يرقبون المشهد بخوف شديد على - على - ..وانقشع غبار المعركة فإذا بعلى قد تمكن من قتل عمرو.. وحاول أحد فرسان المشركين اقتحام الخندق، وكانت الشمس تميل نحو الغروب، فدق عنقه ومات وأراد أبو سفيان أن يدفع للمسلمين ديته مائة من الأبل وكان جواب النبى ﷺ:

- «خذوه فإنه خبيث الدية»..

ولعب نعيم بن مسعود دورا عظيما فى تفتيت جبهة الأعداء، وقد ساعده على ذلك أنه كان صديقا لليهود، وصديقا لأهل قريش فى نفس الوقت، .. وكانوا يصدقونه فيما يقول..

ذهب إلى يهود بنى قريظة.. وأقنعهم بأن يأخذوا سبعين من أشراف قريش وغطفان كرهائن، عندهم.. لإنهم إذا تخلوا عن اليهود، ورجعوا إلى ديارهم فإنه لا قدرة لليهود على مجابهة المسلمين، وسيتعرضون للانتقام من المسلمين.. واقنع اليهود بذلك!!

واستحلفهم نعيم أن يكون ما كان بينه وبينهم سرا.

وذهب إلى قريش ليجتمع بسادتها وأخبرهم أن اليهود مترددون وانهم على نقضهم العهد للنبى .. ونصحهم بالحذر من اليهود!

أرادت قريش وغطفان أن تتأكد من الكلام الذى قاله نعيم ..فأرسلتا وفدا يطلب من اليهود قتال النبى فى الغد.. ولكن اليهود ردوا عليهم أنهم لا يقاتلون يوم السبت، وأن عليهم حتى يحاربوا بجانب الأحزاب، أن يتركوا لهم سبعين رجلاً رهينة!!

وهكذا بلبلت أفكار اليهود ومشركى قريش، وفقد كل طرف الثقة بالآخر وصدق اليهود، والأحزاب ما قاله نعيم، ودب الشقاق بين المتحالفين !

واستجاب الله دعاء رسوله:

- «اللهم منزل الكتاب.. سريع الحساب..اهزم الأحزاب..اللهم اهزمهم وانصرنا عليهم».

وجاء نصر الله..أظلمت السماء حتى أصبح من العسير أن يرى الرجل كف يده، ثم هبت ريح عاصفة اقتلعت خيام الأحزاب، ودمرت مواقدهم، وأطفأت نيرانهم..وبث الله الخوف فى قلوبهم.. وهيئ إليهم أنهم سيفاجئون بالمسلمين يعملون فيهم تقتيلا.. وهيئ إليهم أن اليهود سوف ينضمون إلى النبى خوفا منه، ويخلعون عهدهم للأحزاب.. وبث الله الفزع فى قلوبهم فإذا بطلحة بن خويلد يصيح فى معسكر الأحزاب:

- ان محمدا قد بدأكم بشر، فالنجاة النجاة !

وقال أبو سفيان:

- يا معشر قريش، إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام. لقد هلك الكراع (وهى الخيل والبغال والحمير) والخف، وأخلفنا بنو قريظة.. وبلغنا منهم ما نكره، ولقينا من شدة الريح ما ترون، فارتحلوا فانى مرتحل..

وسمع النبى ضوضاء الأحزاب.. فطلب من المسلمين أن يذهب أحدهم يستطلع الخبر.. كان الجو بالغ الرطوبة، والريح شديدة..والظلام قاتما فصمتوا.. فطلب النبى ﷺ من حذيفة بن اليمان أن يستطلع الأمر.. فقرر الرجل المخاطرة، وعاد ليخبر النبى برحيل الأعداء !

وكشف الله الكرب عن المؤمنين..

وفكر النبى فى الأمر.. وما حدث من هؤلاء الذين يجاورونه وهم اليهود، الذين غرروا بالمسلمين، ووقفوا إلى جانب الأعداء فى أشد اللحظات

حرجا على المسلمين، ولم يكن هدفهم إلا القضاء على الإسلام ونبى الإسلام.. فما عاد المسلمون يأمنون جانبهم ..وأمر النبى من ينادى فى المسلمين:

- «من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر إلا ببنى قريظة».

وأعطى الراية لعلى بن أبى طالب.. وأخذ المسلمون يتدفقون نحو حصون اليهود ..وقد أطل عليهم حيى بن أخطب وبعض اليهود، وأخذوا يتقولون على نبى الإسلام، ويطعنون فيه.. وجاء النبى ﷺ.. وطلب منه «علىّ» ألا يقترب من حصون اليهود.. وكان «علىّ» يخشى أن يؤذوا النبى بكلماتهم البذيئة، ولكن الرسول الكريم تقدم إليهم ..تقدم إليهم مهيبا.. جليلا.. ونادى عليهم قائلا:

- «يا إخوان القردة هل أخزاكم الله وأنزل بكم نقمته»..

قالوا:

- يا أبا القاسم ما كنت فينا جهولا !

لقد حاصرهم المسلمون خمسة وعشرين ليلة، ذاق فيها اليهود ذل الحصار ووجدوا أنه من الصعب مهاجمة المسلمين، ومن الأصعب أن يظلوا فى الحصار إلى الأبد.. وأنهم سيقعون فى قبضة المسلمين إن عاجلا أو آجلا .. فقرروا مفاوضة النبى .. عرضوا عليه الجلاء بأموالهم وترك السلاح، فرفض النبى، وعرضوا عليه الجلاء بأموالهم وترك السلاح، فرفض النبى أيضا، وطلبوا منه أن يرسل أبا لبابه إليهم.. وهو من الأوس الذين كانوا حلفاء لبنى قريظة.. وذهب إليهم أبو لبابة.. واستقبلوه بالبكاء والنحيب وفى لحظة ضعف أخبرهم أن مصيرهم هو القتل.. فخافوا على أنفسهم .. وفكروا كيف يخرجون من المأزق الذى وضعوا أنفسهم فيه..

حتى أن زعيمهم كعب بن أسد طلب منهم الدخول فى الإسلام حتى ينجوا من القتل فرفضوا، واقترح أحدهم أن يقتل اليهود نساءهم وأولادهم حتى لا يخشوا على أحد منهم عند هزيمتهم ويقاتلوا المسلمين حتى الموت! ورفض هذا الاقتراح..

وأمر النبى أن يحكم فى اليهود واحد من حلفائهم.. وقد اختار اليهود سعد بن معاذ.. وسعد بن معاذ هذا هو الذى ذهب إليهم يطلب منهم أثناء الحصار العودة إلى ما تعاهدوا عليه مع النبى، وعدم نقض اتفاقهم معه، ولكنهم أصروا على عنادهم، ورغبتهم فى القضاء على النبى والمسلمين.. وها هى الأيام تدور، ويصبح هو حكما فى موقفهم المخزى الذى وقفوه من الإسلام ونبى الإسلام..

وكان حكم سعد أن يقتل الرجال وتسبى النساء والذرية..

وكان تعقيب النبى على هذا الحكم قوله:

- لقد حكمت فيهم بأمر الله يا سعد..

وتم تنفيذ الحكم فى يهود بنى قريظة فقتل نحو سبعمائة رجل، وقد نجا من القتل أربعة منهم لإعلانهم الإسلام. وقد أخذ الرسول خمس الغنائم، ووزع الباقى على المسلمين.

وكان سعد قد انتقل ليحكم فى هذه القضية من خيمة كانت مقامة لعلاج جرحى الحرب، وكان قد جرح بعد أن أصابه سهم من سهام العدو أثناء حصار المدينة بالأحزاب، وقد مات سعد بن معاذ بعد ذلك متأثرا بجراحه.. وهو أحد المبشرين بالجنة.. وكان قريبا إلى قلب النبى ﷺ.. وقد قال عنه عندما انتقل إلى رحاب الله:

- «لقد اهتز العرش لموت سعد بن معاذ»..

وقد روت عائشة رضى الله عنها، أنها سألت أمه، عن الصفات التى جعلت من سعد حبيبا لرسول الله.. فقالت إن سعداً أخبرها:

- «ثلاث خصال أنا منهن كما ينبغى، وما سوى ذلك فأنا رجل من الناس»..

سألته أمه: وما تلك الخصال؟

قال سعد: ما سمعت من رسول الله ﷺ حديثا قط إلا علمت إنه حق من الله..ولا كنت فى صلاة قط فشغلت نفسى بغيرها حتى أقضيها..ولا كنت فى جنازة قط فحدثت نفسى بأمر من أمور الدنيا حتى أنصرف عنها»..

وبالقضاء على فلول اليهود.. استقبلت الحياة فى المدينة عهدا أكثر أمنا واستقرارا، وضعفت شوكة المنافقين وارتفعت راية الإيمان..

أما صاحب فكرة حفر الخندق حول المدينة، وهو سلمان الفارسى، فقد كان النبى يحبه حبا جما، حتى قال عنه:

- «سلمان منا أهل البيت»..

وكان سلمان فارسياً، ترك بلاده فارس بحثاً عن الحقيقة، واعتنق المسيحية، وصحب راهبا فى عمورية فى الشام، وعند وفاة هذا الراهب، أخبره أن زمان نبى آخر الزمان قد اقترب.. وأنه سيكون فى بلاد الحجاز فقرر الرحيل إلى مكة..

ولكنه هوجم وهو فى الطريق وأخذ أسيرا.. ثم بيع كرقيق وكان يتذكر ما حكاه له راهب عمورية فى بلاد الروم بأن نبى آخر الزمان سوف يهاجر إلى أرض ذات نخيل بين حرتين.. وقد نصحه الراهب أن يذهب إليها..

وقال له راهب عمورية يصف له هذا النبى الكريم الذى سيكون نبى آخر الزمان.. أن له آيات لا تخفى فهو لا يأكل الصدقة ويقبل الهدية..وأن بين كتفيه خاتم النبوة..

.. لقد بيع سلمان إلى رجل يهودى.. وكانت البلدة التى حطوا إليها الرحال ذات نخل كثيف.. فتمنى سلمان أن تكون هذه الأرض هى التى سيهاجر إليها النبى المنتظر.

إلى أن جاء ذات يوم يهودى من بنى قريظة اشتراه وذهب به إلى يثرب.. وقد سعد سلمان أن رأى نفسه فى المدينة فقد كان يشعر فى أعماق نفسه أن هذه المدينة هى التى ستكون دار هجرة النبى..

ودار الزمن.. وإذا به يسمع أن النبى القادم من مكة قد نزل فى المدينة.. فهرول إلى النبى.. وأعلن إسلامه وحال الرق بينه وبين الاشتراك فى معركتى بدر وأحد.. إلى أن طلب منه النبى ﷺ أن يكاتب سيده حتى يعتقه.. وعاونه الصحابة للتخلص من الرق، حتى فك رقه.. وأصبح واحدا من المقربين إلى النبى عليه الصلاة والسلام..

وسلمان لا ينسى هذا الموقف أبدا..

يوم أشار على النبى ﷺ بحفر الخندق.. وقد اعترضته صخرة ضخمة لم يستطع أن يحطمها.. فتقدم النبى عليه الصلاة والسلام إلى هذه الصخرة ومعه المعول.. فضرب الصخرة ضربة قوية خرج منها وهج وتناثرت بعض أجزائها.. وقال النبى عليه الصلاة والسلام:

- «الله أكبر.. أعطيت مفاتيح فارس.. ولقد أضاء لى الله منها قصور الحيرة، ومدائن كسرى.. وأن أمتى ظاهرة عليها».

وضرب بالمعول الصخرة الضربة الثانية.. فخرج منها وهج وهلل الرسول الكريم مكبرا وقال:

- «الله أكبر أعطيت مفاتيح الروم، ولقد أضاء لى منها قصورها الحمراء، وأن أمتى ظاهرة عليها».

ثم ضرب الصخرة الثالثة فتحطمت، وخرج منها وهج شديد وقال الرسول لهم إنه يبصر مدائن الأرض التى ستفتح للمسلمين..

وقد سمع كل هذا سلمان الذى كان على مقربة من رسول ﷺ، وعاش حتى رأى كل ما تحدث به الرسول الكريم حقيقة واقعة.. بعد أن

اجتاحت جيوش الإسلام أراضى الفرس والروم، ورفعت راية الإسلام على بقاع ما كان يظن أحد أن تنطوى تحت راية الإسلام.. وقد تنبأ لهم الرسول بذلك.. والمدينة تحت حصار مر رهيب.. وتحطم الحصار ..ورجع كفار مكة يجرون أذيال الخيبة والمرارة والهزيمة..

عاش سلمان حتى أصبح أميرا على المدائن نفسها.. ولكنه كان زاهدا فى السلطة ومتاع الحياة الدنيا، وعاش يأكل من عمل يده وكان يقول:

- «إن استطعت أن تأكل التراب ولا تكونن أميرا على اثنين فافعل».

هذا هو الإنسان العظيم.. تلميذ مدرسة النبى ﷺ الذى قال عنه النبى الكريم:

- «سلمان منا آل البيت».

فلم يكن غريبا أن يحتفى به أصحاب الرسول، حتى أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب خرج لاستقباله عندما جاء يوما لزيارة المدينة أثناء خلافته..

* * *

obeikandl.com